

مجموعة قصصية

# عتبات

محمد صلاحي

**عتبات**



محمد صالح

عتبات

مجموعة قصصية



الإهداء

إلى العياشي فتحي

محمد حمودان

صابر بنسعيد

لأجل حلم ينوس في أفق الأمل



القدماء كانوا يستحضرون الأرواح  
نحن نستحضر أنفسنا بالذات

فرناندو بيسوا

التخييل هو أكلوية تخفي حقيقة عميقة، إنه الحياة  
التي لم تكن..

ماريو بارغاس يوسا



المأوى الأخير



أرتدي معطف مشمع يبدو جسدي تائها وسطه. أقطر سفينة شهرزاد  
رقم 13564 / آسفي لإغراقها بعد أن استنفدت حكايات لياليها، وانقضت  
سنوات صلاحيتها المحتومة.

قرعة الهيكل المسكون بالفراغ، والمتمايل، تشعربي وكأنه يلفظ أنفاسه  
الأخيرة.

صار البحر مقبرة لأحلام، للحظات سعادة، لعمر من عشق الإبحار  
ومعانقة رصيف الموانئ.. لكل المشاعر المتناسلة على امتداد الأفق. لم تعد  
زرقتة في صفائها المعهود. تذرث بلون الرمال. صارت قاعا من دون قرار.  
وكنت أغوص في مراتع الخمر لعلمي أجد فيها يمي المفتقد.  
تنوس القاطرة. صفحة البحر تجلوها نسمة مفرغة من الرياح. انبساط  
شبه تام. أشعة الشمس ترتطم بصلاية زرقة معتمة. متجاوزا "لاسر كا"<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - مدخل وادي الذهب بمدينة الداخلة، منطقة كانت معروفة قبل التسعينيات كموطن  
للطيور المهاجرة ، ولسلاحف البحر، ، ومنطقة صيد غنية. كما عرفت بخطورة  
اجتيازها في حالة الطقس السيئ. صارت حاليا قرية صيد.

تلوح على الشاطئ صخور جرداء، هجرها المحار والطحالب، تغسلها مياه  
ضحلة نبذتها الأسماك. وهجرت شاطئها الطيور.

كلما غارت سفينة قرب "الفارو" أسمع حشرة ابني وهو يتدثر  
بالأعماق.

في الليالي المقمرة أجلس لأواسي البحارة الذين قضوا في البحر. تجود  
أحيانا صفحته بصفائها لتسمح بتسللهم عبر رذاذ الموج. كل قطرة تشكل  
عالما بلوريا تسبح فيه أرواحهم.

تموج صفحة اليم بالأهازيج، بريق الأعين المترقبة، بنفحات الحنين.  
تختلط. تتماوج. تنوس بالرغبة. كلنا يحاكي سندباده. ويسرد ليليه الألفية.  
نمني النفس بالأمال والعودة.

تتجشأ اللحظة عبثية الحياة. النوارس نافرة من تشييع الهيكل لمشواه  
الأخير. تفتقد فيه نبض الحياة وهرج البحارة احتفاء بالصيد. لا تود أن تقوم  
شاهدا على حتف الفلك بعد أن جال مترعا بالحياة. فأهجر مكاني محلقا في  
سماؤها.

مارس 2012

# **Ressources humaines**



تتسع الحدقتان لتحيطا بالجمال الصاخب في أرجاء الغرفة.  
حضور شفاف له دفق مياه فسقية.  
شعر امتص حلقة الليل.  
نهدان صاحيان.  
ردفان تدعكها صلابة جينز أسود.  
لا زالت ضحكات السمر تلتصق بطلاء الحيطان.  
تعانق المرأة الوجه الساجي أمام تناوب المساحيق.. تشع النظرات  
بالرضى.  
يخطو الجسد الأنثوي متألقا.  
تبث شفثاه قبلة لها نسيم بحر من خمر، وترحل.

يسكر من تهوييات أفكاره. يتساءل هل بيده فعلا أن يمنحها فرصة حياة  
أفضل.

2 ماي 2011

مسار



يزيح ستائر ثخينة. يلج الشرفة مستحماً في أشعة الصباح. شَخَص ببصره  
يرقب هدوء الشارع. تمرق بضع سيارات. تخلو الجنبات من مارة يحثون  
الخطو للحاق بعقارب الزمن الإداري.

تموج الذاكرة متفتحة عن صخب الشارع.. جيشان فلول الشباب..  
اللافتات.. أصداء الشعارات.. تخرق وجدانه أحاسيس ابتلعها بلادة  
اليومي لسنوات.

حُلم يفرد جناحيه من رماده في هبة العنقاء.

على تشظي الأمل وكرّ السنين، كانت الأحلام تتهاوى، تلتزق بأسفلت  
الشارع، فيحاصرها النسيان.

يعود أدراج آماله. يصلح أفكاره مع الإكراهات، ويدخل فصلا جديدا  
من التمني.

يقف مترعا بالشوق لترتيب أفكاره. تنبض مشاعره باليقين. لا بد أن  
ينحت سيل الاحتجاجات أخايد.

تحتضنه الغرفة. عن يمينه طاولة تتوسطها قطعة رخامية. في وضع جانبي  
يستقر جهاز كمبيوتر محمول. تطالعه الصفحة.. تتقاطر الرسائل..  
اقتراحات.. أخبار.. تعليقات.. يمتد الأمل عبر زخم الكلمات.. تواترها..  
نبضها المشفوع بالحق في الحلم. يجالس جهازه بشغف. يتلقف المستجدات،  
تملك عليه أنفاسه، وينهض في عجلة من أمره ليلاحق تفاصيلها.

14 يونيو 2011

**أفكار غير معلنة**



تفصد مسامه عرقا. لا تكل شفتاه عن البسملة والتكبير. يوطن النفس  
على العزم. يتابع زحف الثواني المتهالكة.

تبرق فكرة كثلّم في تصميمه. تداهمه وحيا شلّ تفكيره، فيضح سمعه  
بصفير حاد.

لم يعهد في حياته الاختلاط بأزلام إبليس. كابر الحياة غاضا الطرف  
عنهم. لم ينجس بصره بوجودهم. فهل يسمح أن تلوث نهايته أعلى ما لديه:  
روحه؟

كيف لأشلائه، وزخات دمه الطاهرة أن تنسف الكفر وتمتزع به؟

وقّع صك قراره: "سأصون أعلى ما أقابل به خالقي، وأقف به أمام  
شفيعي، ولن أنتهي في مراتع الكفر بهذا الموت المشين".

بالقرب منه، لم يتسن لرفيقه قراءة أفكاره، ولا إدراك الإلهام الذي داهمه،  
ولا شهد توقيع صك صحوته.. فأطلق العنان لحزامه الناسف.

ماي 2011

مسح



من صخب اللحظة، تحطّف نقع سنايك الخيل نور الشمس من عينيه.  
دبكة حركة الفرسان المسعورة ترج الأرض من حوله، وتؤجج هتاف  
الجنود. ينقشع الغبار فإذا به مسخ يسعى. يزحف زحف ثعبان، ويصهل  
صهيل الخيل، وينفث غضبه نار تنين.

جلجلة ذيله تلاحق جفول الخيل. يتوالى زحفه. يفرغمه احتجاجا  
فيغص بالتراب. ثم لاذ بعليقة من العراء.

تكر أيامه ولياليه في لعنة حرب أبدية. لا يفقه في ألغاز أنصاف الآلهة  
ودواهيهم. الذبائح نزت دمها عبثا. اختلط نور النهار بجهمة الليل. تدوم  
اللعة إحصارا ماحقا. لا النصر حليفهم، ولا الهزيمة دكت أبوابهم. تتكدس  
الجثث وليمة في صخب نعيق جيش الغربان.

لا زالت صرخة مينيلانوس من ألم السهم الغادر تستفز جيوشه، وغصة  
الفضل تأخذ بخناق ألكسندروس. بينما هو من بين أجيال، تبتلعه دوامة  
الزمن، ويلاحق الأمكنة المتناسلة من سراب الأوطان.

تطوان 2013

**الوهن**



تزيغ نظراته. يسود الصمت المنحشر في الفراغات. تشتد وطأة الهجير.  
ترك محفته وخرج يتطلع نحو منحدر الوادي. لا يلوح أي طيف. يتخطف  
روحه الوهن. لا أثر لأي حركة أو نأمة. تعاقب شهران منذ رحل ابنه. ترى  
أية أفكار شيطانية تلبسته حتى انحشر في هذا الغياب، أم تراه يعود!

يخزر الماشية المحتضرة. بقرة وخروفان في نزعهما الأخير. وفي الركن  
الغربي للبيت تمدد أتان. بعيدا عنه تفرقت دجاجات نافقة. كلما زحف الفناء  
إلى أحد الدواب يجره إلى ترعة نضب ماؤها. كف عن غدوه ورواحه منذ  
أيام. اشتد تعبته. وهنت مفاصله. داهمته أعراض الشيوخوخة التي داراها  
بعمله. زحف الجذب وخفتت حركاته. كانت الأرض مصدر نشاطه. تمتزج  
أنفاسه بعبق التراب والمطر فتحيا عروقه. هذه السنة تكلمت عظامه.

انقطعت الزيارات في الدوار، واستحال مرتعا لأشباح. نخرتهم ندرة الماء  
والطعام.

- "بقينا منسيين هنا ألفقيه".
- "لازم لمخزن يدير شي حاجة".
- "لمخزن مشطون فأمور كبر من جوعنا".
- "الله يلفف.. ويهدي ما خلق!".
- "هد الشي اللي كاين.. حتى من القايد وشيخ لقبيلة خواو الدوار من زمان.. أمالنا فالله".

دار حديثه مع الفقيه أول أسابيع الأزمة. زاره يومها وتناولا آخر كأس شاي. ما زال طعمه عالقا بالحلوق. حديث سد منافذ كل خبر سار. لا الإذاعة ولا الجرائد أعلنت أمر الجائحة التي ألت بقريتهم. ظن في لحظة أنه مجرد اختبار من الخالق. لكن توالي الأيام كان كفيلا بلجم كل الآمال.

قفل راجعا. ينوس تحت ثقل زفيره. يتلاحق لهاته غرغرة النزاع الأخير. تدب خطواته حثيثا كأنه يهرب من شبح الموت. أدار بكرة الباب، وولج غرفة لينير الفانوس النفطي. كلما أخذ العطش بخناقته تذكر ابنه. لا يبرح مكانه كثيرا إلا حين يريد أن يمني النفس برؤياه.

يسند رأسه بالقرب من جارورة ماء، وزع محتواها في خياله إلى حصص يومية. يداعب قلائد البصل والثوم المتبقية. تطوف بأنفه رائحة مضهوسة بالفروج البلدي والحلبة. يبلع ريقه ويحس رغبة في البكاء.

يعيشون غدر الطقس. يذكر أن برد الثلج ذهب بابنه الثالث. اجتاح مرض القرى وأجهز على أرواح لا ذنب لها سوى انتمائها لهذه الأرض المحصورة بين الجبال. حين يداهمم الثلج يسد جل المنافذ. الرعاة الذين تؤويهم الخيام يلجأون إلى المغارات. ينحشرون رفقة أبنائهم وقطعانهم درءا للسعات الصقيع. يبقون محتجزين لأيام وأسابيع. أخبره ابنه يوما حين درس، أنهم أشبه بالدببة في سباتها الشتوي، إلا أنها لا تتألم كما هو حالهم.

حين تكبس الحرارة عليهم تخلق أنفاسهم. هذه المرة طالت المعاناة. السنة الثالثة على التوالي. يحاصرهم الجفاف. تفتت المقاومة. تنضب المدخرات. يغور الماء في كل المنابع. لم تعد أغصان الزيتون ترقص بين الأصابع جذلي بالتلاقي. "ضاعت البركة" أقر الشيوخ. وكفر الشباب بما تبقى من إيمان يسكن أرواحهم الكالحة. هاجروا دون الإخبار عن أماكنهم. خمن البعض أنهم قصدوا السواحل الغربية. هربوا من التجفاف المستوطن أجساد الأهالي. قبل الرحيل سافروا لأسبوع قصد توفير مؤن زهيدة. أما أمر الماء فحكاية أخرى. ضاقت السبل بهم. لم يتورع البعض إعادة سيرة قابيل

وهاييل. بدل خصب الماء، ارتوت الأرض بشهقة الدماء. ولم يتصوروا هلاكهم محرومين من رقرقة المياه. أسكتوا ضمايرهم بأخر الإمكانات. الرحيل. لا يذكر من روى له أن من تقاليد أحد الشعوب، حين يشيخ شخص، ينقله بكره إلى قمة جبل، مع شيء من مؤونة ويتركه لمصيره بين مخالب الجوارح. أهو اختيار العجزة أم قرار الأبناء. لا يذكر. لكنهم اليوم يصوغون قدرهم بأيديهم.

يستلقي. يرجف جفناه من العياء. يقلل من حركة جسده الفاتر. يملأ فضاء الغرفة أزيز الذباب. يعرف أن هذا المخلوق كالغربان يشتم رائحة الموت. يصله نباح الكلب أننا، فيمتزج بصيرير أنفاسه. صار جسده مرتعا للذباب. يجر نفسه أكثر مما يمشي.

يبدو أننا أشبه بمن داهمته حرب استنزاف في موقعة "مسك الرجل". نحشر أنفسنا في خنادق الموت. الشرف وحده من يعقل أطرافنا. كم يمكن للحياة أن تغوص في الغرابة. لم أتعفن في السجن بعد أن أزهقت روح الشراقوي، يوم طال الغدر روحه، وانتهك حرمة الفتاة الموعودة لي. كان رعيدا ولم أكن أقل منه جراءة. تقابلنا. قررنا اتفاقنا ندا لندا. نتقاتل قرب جرف "لعور". من سيلقى حتفه تلقى جثته حيث لا يُعثر عليها صونا لكرامته. كان الموت أهون من أن يشاع مقتله أو هزيمته. كان معهودا أن

يطج الشباب بلا أدنى خبر من قهر المكان. فصارت الغيابات لا تثير الكثير من التساؤلات.

أيامها غادرت رفقة مجموعة من أولاد الدوار للالتحاق بالجيش. لم يشر غيايبي أية شبهة. وصلتنا بعد شهور أخبار متضاربة عن العثور على جثة لم تتعرف السلطات على صاحبها. حمدت الله أنها تهرأت قبل انكشاف أمرها. ربما تكفلت بها الجوارح أو الوحوش القمامة. استحال كومة عظام وبعضا من جلد كالح.

كان لسنوات الحرب خيرها علي في نسيانه. حرب أدار رحاها الشيطان بكل حذق. لم يترك خيارا للسلام. وجدتني أغوص في حمأة القتل. أصارع قهر الكوابيس، والهلع الدائم من الموت، قبل أن أفرح بالحياة. خرجت دون لطة من نارها. رغم اكتوائتي بذكرها المريرة بقية حياتي.

اليوم تتهالك علي السنون، متنطعة. أحبو نحو قبري بهذه الطريقة المشينة. تفو. كان الأجدري أن تذهب بروحي طعنة من يد الشرقاوي في عراق عادل. أو تكتم أنفاسي رصاصة في رحاب المعارك. ساعتها سيكون شرفا لنفسي الملتاعة أن تفخر، بدل أن تصارع شيخوختها بهذه المذلة.



**بورتريه**



حين كان يسليخ عنه ثيابه في غرفته الوحيدة، جلست (هي) متلفعة  
بلحاف تنتظره. يتم الحب عنيفا وسريعا بينهما، يدوم إعصار رغبات مجتاحا  
كيانيتها.

خلصا من إفراغ دفق المشاعر. امتص الفراش اجتياح الشهوة. تعانقا  
ونظرة امتنان في أعينها. قدمت له كتابتها وهي تنسل من الباب مبتسمة.

قرأ كلماتها على نغم صدى صوتها.  
من ركن قصي في الخزنة، جذبت كومة من لوحات.. نفضت الغبار  
العالق بها وهي تتأملها. أجساد ذكورية تنضح بالشبق.. تفاصيل عري  
يافع.. تأملتها وكأنها تكتشفها. أيقنت أن زمنها لم يحن بعد. ثم أعادتها  
لعالمها المغلقة.

أحس بالأجساد تسبح في فضاء الغرفة. خال نفسه يلاحقها في خفتها..  
كيانه لمسات فرشاة بارعة.. خلق جديد.. يندمج معها.. ويغادر برفقتها إلى  
الخزنة حيث ركام اللوحات.

نونبر 2013

**في رحاب الأندلس**



يتسربل بحلقة الليل منزويا بمحاذاة "سور المعكازين". يرسم للبدر  
مسارا يتيه منه بين الغيوم. يشد عما يراه الآخرون.. اكتمال بدر.. التماعة  
نجمة.. موج بحر.. شرود نورسة..

يعبر سابحا بخياله المتوسطي. يستوطن بلدة، وربما يرتحل بين بلدات في  
رحلات دونكشوتية. ما همه تحديد اسم إقامته أو مدى تناسبها وتطلعاته.

انقضى عمُر دون أن يجد مراكب يحرقها أضحية على عتبة إيبيريا. يحلم أن  
يقيم من أنقاض الزمن أندلسه. تندلق الفسقيات خمرا. يتشي من رذاذها  
المعتق السابح في هواء العرصة ندائف مجون.. تموج روحه بين مفاتن  
الحسناوات.. ويلج لياليه المترعة التياح الشبق، يبيع من فيض قضيبه دررا  
لخصب جديد.

يُصك مسمعه صرير عجلات مفاجئ.. تنتزعه أيد متسارعة.. يُحشر بين  
دبق أجساد، ورتابة سحنات، وضجيج لغات، ليجد نفسه خارج دهاليز  
حلمه.

أبريل 2012

متسع من أمل



خفتت الرياح كأنها تخلي فسحة للتأمل . وحده الموج يملأ المكان بحضور  
صاحب. أخطو مثنخنا بالذكريات. نلوذ من أنفسنا وكأننا نخجل من  
اللحظة.

هل كان مقدرا أن نكتوي بنار العنف حتى نتطهر من نجاسة الخنوع،  
ونكتشف خلاصنا؟

حده تراجع الموج تسحب الرمل من تحت قدمي. يرافقني إحساس أشبه  
بالسير في حلم.

ازدهت رمال الشاطئ بالأصداف، واحتضنت مياه أبريل أصناف  
الأسماك المعهودة. البوري العازف عن الأكل، والشرغو المخاتل، وأبلاغ  
المحبوب إلى القلب. أحيانا قد تجود الشباك بالزريقة، التي يشبهها بعض  
البحارة بقاتنة في خدرها.

تخلص (س) من عناء رتق الشباك. ثبت معظمها على الشاطئ عند  
انحسار المد. والتقيننا بعد أن انتهيت من تفقد شباك العمق.

شهور خلت ضجرنا من انقطاع صلتنا بالبحر. بدت ملوحته ممزوجة بطعم البارود. تمور الكآبة بين موجه رمادي اللون. وينحسر المد مخليا الشاطئ إلا من شباك عشش فيها القنوط وأعشاب البحر. حتى الأسماك عافت مياهننا. فكنا نجوب الصخور بحثا عن المحار، والحلزون، والسرطانات، والرخويات الصدفية، وبعض الطحالب، لنمد الأهل بما يسد الرمق بعد أن ضُرب الحصار. اليوم يخصص البحارة حصتين في الأسبوع من صيدهم لأرامل الحي، نشاركهم فجيعة أحبة فقدناهم.

تجول نظرات (س) ماسحة التواءات الصخرية الحادة. وتنزل مع جرف شديد الانحدار. بزّجل الأقران في حدة النظر. لو أنه في زمن المراكب الشراعية لتحت اسمه على مراكب صيد الحيتان. يتوج حضوره ساري المراكب، يخرق دفق الرياح، ويعلن عن البشائر.

وصلني صوته الأجلش "من الصعب ارتقاء مكان الشريط". اقتفيت مسار نظراته. مكان صعب المنال. ممرات وعرة، ضيقة، معظمها لا يسع موطئ قدم، بعضها من تربة سهلة التفتت. منحدرات حادة، تنتهي بصخور متناثرة، متدرجة الأحجام. موضع لن يبلغه إلا من خبر المنطقة، أو من وافته جرة خارقة للمجازفة. من المرجح أن من اختبأ فيه ابن بلدتنا. من عساه

يكون؟ الذين سجلوا في عداد المفقودين فاق عددهم ضحايا الإبادة. قد لا نعرف هويته أبدا. كان التبليغ عن أماكن مثل هذه يجر معه مخاطر التحقيق والحجز. تورط أناس دون وجه حق. عشنا وسط موتانا دون القدرة على الكشف عنهم. نتركهم لقدرهم المرعب حتى تعثر عليهم السلطات، أو نواربهم الثرى دون شاهد.

نجوب امتداد الشاطئ. تقف صخوره وجروفه صرحا عتيدا. خبرنا تفاصيلها، خاصة مغاراتها. ملاذ المتشرد منا، وملجأ سمرنا الليلي. يرافقنا صدى أنفاسنا. ندقق في كل التفاصيل رغبة في فك لغز الشريط.

- ربما أتلّف المد المتواصل بقايا أي دليل.
- لا أظن، فالصخور قد تحتفظ لسنوات بما لا يخطر على بال.
- ربما يسحب علو المد في هذا الفصل كل المخلفات خلال تراجعها.
- قد يكون لقوة المد فعل عكسي، كثيرا ما يثبت الأشياء التي يلفظها البحر بين الفجوات.

في تجويف صخري نطلق عليه "غار الديبة" عشر (س) على بقايا جثة. كانت في الأيام الأخيرة من تحملها إبان الحرب. هيكل أفجعنا مرآة. بالقرب منه مذكرة مهترئة، وكاميرا بحجم كف اليد. أثار الموقف تساؤلات أكثر من

القلق. من الأهون رؤية جسد مسجى، عوضاً عن أن يطالعك هيكل  
اهترى، أو أشلاء، أو أعضاء مبتورة لأشخاص ينازعون الحياة. الموت يثير  
في نفسك الحزن. أما الجسد المهصور فيث فيك الرعب والشعور بالغبن  
والحقد اتجاه بشاعة غلو الإنسان، ويترك بداخلك ألماً ينخر وجودك محملاً  
بالكوابيس.

أرفل في سروالي الجينز المبتل. أداعب زبد البحر الأغبر الدال على عتو  
موج المد.

في طفولتنا كنا نجوس البرك التي يخلفها الجزر. نتحسس الرمل بأقدامنا  
لنضبط سمك موسى الراقد في الرمل. كنا نفرح للمسه بقدر ما نخشى  
صعقات سمك الرعاد. ونشاكس صغار الأخطبوط العالقة في برك السطح  
الصخري.

يركض (س) مناوشا بعض فراخ النورس. يقلد صوتها ويرمي لها نفاية  
الشاطئ موهما إياها بالأكل. عرّج على ركام صخري شاقا طريقه نحو "غار  
الديبة".

فصل من جحيم. هذا ما عشناه، وما وثقه الشريط. يلعلع الرصاص.  
يوقظ الذكرى المقيتة. تضج السماء بقصف القنابل. بعض أجزاء الشريط

معطوبة. ييارح صاحب الكاميرا الأماكن المكشوفة. يسبقه لهاث أنفاسه غير المنتظمة. أشعر أن بين ثنايا صورته، وهو اجسده، ومخاوفه، يسكن الأمل. أمل اقتسمناه كي نُبعث من أنقاض الجحيم.

تبدل الأماكن. أزقة. شوارع. منازل متهدمة. يتقهقر الزمن في حرب المدن الطائشة. أيام. أسابيع. لحظات كر وفر. تخطيط. كمان. توجيهات وتدابير ميدانية لرفع المعنويات. يمتد شريط الذكريات.. تتفجر دروب الطفولة لتصير دروب الوغى. يتسارع الخطو وخفقان القلب. يلتحم السلاح بأجساد الشيوخ والشباب. أصبح ضرورة حياة. تفقد دروب المدينة ملامحها. وتطمس برائن الحرب تاريخ البراءة.

تنصهر أرواحنا بدم انسفع في كامل عنفوانه. للحلم طعم المرارة. ربيع أبى أن يزهر إلا بدم بريء. وحده اليقين كان يخرس كل الأصوات.

قبل متم الشريط، يصدح صوت كأنه يخاطب مرافقه "سوف أهدي هذا الشريط إلى كل روح اغتسلت من وعناء الحقد بعد محنة الحرب".

ما لم ندركه هو دلالة التاريخ الذي يشير إلى سنوات لم نعيشها بعد. قد يكون خطأ في البرمجة، أو ربما رسالة من صاحب الشريط لم تتح له فرصة إبلاغها، تستدعي فك لغزها.

فبراير 2012

## جاء الحي

إلى إسماعيل وخاليد لأجل ذكرى حي السلام



نور الشمس الراجف يتسلل من بين بطانة السحب العالقة غرب الحي .  
غاضت البرك مخلقة صفحة طين ملساء بلون بني كابي . تجرف الهدوء  
جماعات التلاميذ الصاخبة . يعبرون باب المؤسسة . يتلقفهم فضاؤهم  
الرحب . يسعون فرحين بالأشغال المؤثثة أزقتهم .. ملجأ نزقهم ..  
شقاواتهم .. عراكاتهم . يلجون المجاري متاهات تحت أرضية . يتبارون في قفز  
أوسع الحفر .. يخوضون في البرك بحثا عن سراغيف .. كثيرا ما اعتقدوا أن  
فراخ الضفادع أسماك الحي .

لم تكن تنظلي علينا نصائح الآباء . ولا تردعنا تهديداتهم . تثيرنا ميازيب  
المياه المتبورة عند السطوح . كل ما له علاقة بالماء يجتذبننا . يثيرنا . يشدنا  
بانسيابه .. بسحر صوته .. بندائه المتواطئ . يستحوذ على شقاوتنا . يدغدغ  
هيجاننا . يستثير نزق طفولتنا . نغرق فيه وننسى صراخ الآباء .  
يقتربون من الحي كتلة صخب .. همى عراك .. هستيريا ضحك ..  
مناوشات . تشد انتباههم مجموعة أطفال يرشقون بالحجارة قعر حفرة .  
يجتذبهم الفضول . يركضون متسلقين قصد الفرجة . تحثمهم رغبة المشاركة .



يخف اندفاعه. يقترّب محاذرا. تصده تكشيرة الجرو. يباغته ارتماؤه  
الأرعن. ويقفز قلبه هلعاً. يتراجع. يفور غضباً. ودّاً لو أقحم ركلة في مؤخرة  
الكلب، لكن نصفه طمره ركام طيني.. يبرّز رأسه تكشيرة عداوة، وعينه  
لهيب ألم.. مفتوح الشدقين، متدلي اللسان.. استحال مسخاً.. فكُّ تمساح  
رهيب.

أحجم عن مناورته. امتدت يده لقضيب حديد. انتشله بتوتر من مخلفات  
بناء. تتلاشى الأصوات. تتواتر ضرباته متزامنة مع تصاعد انفعاله الطفولي.  
استبدت به حماسة دحره لخوفه. يتخافت أنين الجرو. اختلطت تفاصيل رأسه  
بالطين. يغور سيخ الحديد. يتفسّخ الجلد عن العظم. يتوقف. ترتجف  
مفاصله. ينغرز حنقه في بؤبؤ العين. تتصاعد عدوانيته. تتضخم. تلاحق  
رؤوس الصغار المطلة عليه. تشجها. ينفقاً عيونهم الملاحقة حركاته..  
الشاهدة على جريمة يؤرخها الحي.. يحشو أفواههم الضاجة بالضحك بكتل  
الطين المبللة.

فسحوا لنا الطريق. ابتعدنا عن الحفرة. أسيت عليه. تضاءل. غارت  
نظراته. ماتت تكشيرته بين أسنانه المدماة. رحلنا في صمت جنائزي. وفترت  
فينا روح شقاوتنا.

أظننا كنا مجموعة من المخاتلين. جراء محتالة. كنا نضفي نفحة المرح على حيواتنا التافهة. نداري هول السنين المبتورة من طفولتنا. لو أننا أصغر سنا أو أكبر بقليل لما شهدنا اقرار الجريمة. ولما استبد بنا طيش تفجر الصبا في أجسادنا الضئيلة. وربما لتلاشت الواقعة دون كبير اهتمام.

هل يمكن أن نبدع في عوالم النسيان إن كنا مجبولين على التذكر، حتى لو كانت ذكرى مؤلمة، أو مخزية؟ قد يفوتني الآن سحر هبة النسيان. لكن يوما كان يستوقفنا العالم، يحننا، لنبصم عبقرية شغبنا حد الجنون.

11 يناير 2013

**شذرات حياة**



يداري شتات ذكريات أسنة تَوْرَقه، تبرزغ لتنفث رائحةً تفسخ أجساد.  
يكبس عليه لون رمادي، متاهة عيني أعمى مطفأتين. يسكن نفسه هذا اللون  
الكابي مجسداً في الموت.

يسحب نظراته المبعثرة من رف القناني برأس مترعة بالهواجس. تتحرك  
القنينات أجسادا مبتورة الرؤوس، تنفجر من فرط تضخم الألم، لتزرع  
جسده شظايا حارقة. لا يبرحه الإحساس إلا بعد حين.

تدحرج همهمة بين شفتيه. تنفرط كحبات سبحته بين أنامله. يخامره  
شعور بالتيه في محاولة للإمساك بتلابيب إيمانه.

تلتهم النار ذبالة شموع للزينة، مشكلة فوهات نور في ظلمة الغرفة.  
تتراقص أخيلة الأثاث بلا ملامح. تشهد الشعلات على أحاسيس مبهمه.  
تروم روجه البحث عن بقايا إيمان. يسائل نفسه هل سام روجه لإبليس ذات  
زمان.

لم يستوعب ضرورة منحه تذكرة للحج في السنة الأولى من تقاعده. ربما التفاتةً تقديراً لخدمته الوطن في أحلك أيامه. حين لفه ثوب الإحرام، ساوره شعور من يلج كفته وهو حي. لم تطق نفسه البياض. حتى الجمرات لم يحذف بها غريمه. تكالبت عليه الهواجس.. أنات الآلام.. حدة الصراخ.. صدى الدهاليز.. صرير الأبواب..

تجول بخاطره ذكريات "قد يكون صادقا أحد المارقين حين لقبنا في كتابه بالحجاج، وصمنا بما كان متعارفا عليه بين المعتقلين سنوات الثمانينيات، لا أذكر هل هي خواطر أم سيرة ذاتية.. لكنها كتابة مثقلة بالهم والحزن.. ولا زالت تنخر ذاكرتي تسميته لأحدنا "الحاج القوادة" .. أي شيطان أوحى له بهذه التسمية..". تكدر مزاجه، وتضخمت حبات السبحة جماجم تتعثر بين أصابعه.

تحن الآيات في لهو جة الكلمات. يغص حلقه بالبسملة. لم تسعفه ذاكرته باستحضار الأوراد التي حفظها على يد شيخ قريته، وعهد تلاوتها لحظات الضيق. تنز جنبات سريره دخانا يلمس حضور كثافته. تجس يدٌ استدارة رقبتة. تكبس على نحره. تطغى على ذاكرته صورة أرقته.. كهل نفق بين يديه.. تحاصره عيناه المحتقتان.. تجوس النظرات مفرغة من الألم.. لبريقها لون صدئ القضببان.. تستبيح خلوته.. تسيج وحدته.. وتسلبه بقايا حشرة من رمق الحياة.

العيون 4 مارس 2011

**غضبة كرونوس**



يهرز منحريه في حركة طفيفة تفاديا للفت الأنظار. تتسلق الطفيليات  
خياشيمه مستوطنة جواربه الأنفية. يفرد صفحات المخطوط أمامه. ورق  
فقد نصاعة بياضه، واصفرت حواشيه. يجهد لفك شفرة الأحجية.

## "كرونوس عاطل عن العمل"

دأبت ملامحه ابتسامة. تطلع نحو القيم على الخزائنة. ثم عادت نظراته  
لتغوص في تفاصيل الشذرات.

".. اجتمعت آلهة الأولمب للبحث في القضية. اضطرت الصدفة للتنازل  
عن المطالبة بعرش الزمن، ومحت من تاريخها جل الوقائع، بما فيها تفاحة  
نيوتن وتفاحة آدم.. وجحود زيوس وانكفاء كرونوس.. أنفت من سلطان  
الملابسات، وانفلات الزمن من العلل والمسببات.. فصار العالم أكثر عقلانية  
وأشد سخافة بالتكهنات..".

يمسد أرنبه أنفه. يتقلص حاجباه. تخيل كرونوس يتلع السنين كثقب أسود. يتجشأ الماضي بكل عطانته. تخيله محفوقا بمشاعر الشك. قد يعيد الزمن نفسه في غفلة من تدبيره بالتواطؤ مع الصدفة. وأدرك كم تؤرقه الوقائع حين مروقها عن جلّ الحسابات.

لطالما شدته بعض خصائص التاريخ: مكره. عرضيته. منطقته الخاص.. عوضا عن حتميته وتواتره القدري. وإذ خلا لنفسه، يسبر بأفكاره مجريات الأمور، قاده التعقل في الموضوع صدفة إلى فكرة "الصدفة". هي الفعل المتمرد على منطق التاريخ والزمن. قد تقوم مملكة أو تهاوى، وقد تبرز حضارة أو تغور في دوامة الزمن بفعل صدفة. وقد تتواتر أحداث، وتتكامل، لتنسج مسار ديكتاتور أو حاكم راجح البديهة والفتنة.

بدا ساهما وهو يطالع على هامش الشذرة كتابة بخط أرجواني.  
"حسنت أمري. أخليت ذمتي من البث في تخمينات عالقة بين الجبر والاختيار.. فكان أن وضعت احتمالات على أمل أن يمن الله علي بكشف ميبين:

- أن العالم لا يقوم خلوا من الصدفة، وهو ما قد يفنذ القول بالجبر المطلق.

- أن الصدفة هي أحد أوجه الزمن، وهو ما قد يربك حسابات أي عاقل  
وقراراته، مادام الإنسان كائنا زمانيا.  
- أن الآلهة أربكها مروق الصدفة، فارتأت البحث عن مخرج لتمرد  
كرونوس واعتزاله تدبير الزمن، خشية أن ينغص حياة الإنسان".

انتبهت من تحويم أفكارى. وجددتى متأملا وجودى. ألملم شتات  
شذرات قصتى. دونت ملاحظاتي في عجالة. قمت وأنا أصارع بحركة  
منخري الحساسة المتصاعدة. رحلت متأملا في حكمة الأولين دون أن يثبت  
رأىي على قرار: هل العالم يزداد عقلانية بتجاوز سلطان الصدف، أم يغور  
بسخافته في لجة الزمن.

26 أبريل 2012



- أ -

**حرف أخرق**



يلج (ع) مقهاه منتشيا.  
يستند لهوسه ملاحقا أطياف أفكار،  
والحروف غربان تلاحق جسد الكتابة.  
يتأمل ملامح كلمات مسوخ ترتع كبقرات عجاف .. من فرط  
تلكئها تغادر وهجها .. يتلقفونها..  
يتنسم نشوة حلم..  
يوشحونها..  
ويرسمون لها مسارات على مقاسات ياقات بيضاء.



— ب —

حروف بابل



يحيط الليل هامة (م) بالسكون.

تبرق ومضة بدماعه. تزدهي حدائق أفكاره. يلهمه نبض

الكلمات. يحفر إصرارها في دهاليز المعاني. ثم يشمله الفراغ

المالحق.. دماغه ثقب أسود ابتلع إحساسه بالوجود.. يحرك ولاعة

بين أنامله في كسل مقيت.. وينظر ببلاهة كأنه حبيس عالم الجنون.

أحيانا تبدو له الكتابة مرعبة!

"ماذا تخفي خلفها الكلمات؟ هل هي مجرد هندسة لإعادة

تشكيل الحروف؟ أم تضم بين ثناياها ك- ل- م- ن- ت؟

هي لعبة الحضور-الغياب، ورتق الفراغات.. ما أدراني!".

ينزع نظارته ويستلقي في استرخاء.

تموج حروف.. تمارس عشق التغلغل في طراوة الفكرة وتسكن  
نبض نسغها.. ترتوي من مداد الخصب.. تخلق من زحف البوار  
موالد.. ومن هجير التصحر براعم تعد أن تزهر.. يتنشق أريجها..  
وتتناثر الكلمات من سماء الحلم زخات أمل.

- ج -

**حروف بلون الشفق**



إذن، هو اليوم التاسع على التوالي.

يقرر (ف) رصد الموقف في حياد.

يراوده شعور مخائل بالبعد القصي. تُراوح إرادته بين الإقدام  
والإحجام، وتنوس قراراته في غلبة من أمره.

تلوح البناية على مرمى بصر.. مشرعة لاستقباله.

يعرج على مقهاه.. يجبي النادل.. ينتظر شاردا.. يحمل كأسه  
البلاستيكي.. ثم يغادر ملاحقا مشاعره.

يدنو من دفاء الكلمات .. يحسها تسبقه نشوى .. ترتقى السلام  
إلى مقر الصحيفة .. تصدح بأهازيج خاصتها .. تشاكس الهدوء ..  
على امتداد الصفحات تراصت .. تبحث عن بث اليقين .. يلمس  
إصرارها .. ثم تمتد وتتناسل .

تضج الكلمات عبر مدى أفكاره .. وتنسرب لتغزو الأمكنة .

يلوح في الأفق غبش حلم . زاغت هامات عن عروشها ، وذوت  
معها نفوس . فانتدبوا للكلمات من يقتصر من يفاعتها وصلافتها  
الباسقة حد الجحود .

— د —

**حروف موعودة**



تسلل لأوصاله برودة الانتظار في عتمة تلدنت. يدعك صبره  
خمول اللحظات. يسافر به الوسن على تحوم الحلم. يجوس عتباته،  
يتوانى، ربما خشية اقتحام المجهول، أو عدم إصرار على فك شفرة  
اليقين.

(يخل صدى خطوات بأفكاره.. يتتبع إيقاعها الرتيب حتى  
تغور).

يرصد شبه طيف ينسل. يتلاشى بلا أدنى ظل أو أثر. يسحب  
معه نذرا يسيرا من كلمات تباطأ بعضها واندرحر.

(يفيض شعاع كإشراقة الكون في انفجاره العظيم.. يغسل  
العتمة بنوره.. يفكر: دافئ هذا الغبش في ليل معاناتي).

تهدر أهازيج الكلمات.. تنزّ من الصلبد فلول أحرف تحث الخطو  
جدلاً.. تعانق حلماً تأخر.

يناير 2011

## دوران الجعلان

لأجل كيفان<sup>(1)</sup> السمر إلى المزمور، وحسن، وميليد

---

<sup>1</sup>- الكيفان (أو القيفان) هي الأبيات الشعرية باللهجة الحسانية.



لا يدري أهو القدر، أم الصدفة، أم هي لعنة داهمته. خرج من نومه، أو حلمه، ذرة غبار في مهب الريح.. تذرّوها تقلباتها. ذرة تقاوم بيأس تدحرجها، وكأنه التيه الأبدي.

في لحظة حظ تشبث بصمغ ورقة طلع. لزق به دون فكاك. يستعيد انتظام أنفاسه من برائن دوامة الهلع. يستكين لمأواه. وما لبث أن احتشدت بقربه ذرات أخرى جرفتها الرياح متواترة. يداهمه الاختناق فتعثره رغبة في الانعتاق ليسكن هبوب الرياح.

يغمره ظل المساء. يسكن محيطاً إحدى قطراته. وينتظر بين تراقص ألوان قرزية في سحر المغيب.



تضاربت الآراء حول تشخيص حالته، لدرجة الاجتهاد بأنها علامة من علامات الساعة، لأن حالته ما لبثت أن تفتت. إحساسه الدائم بالدوار.. حالة القيء النبي تهصر أمعاءه.. شحوب الوجه.. زيغان النظر. والأنكى الوسواس الذي يعشش في أفكار المصاب وينخر راحته.

تعود أسباب هذه الأعراض، حسب ثبت أقواله في بدايات هلساته، إلى يوم زار فيه مجموعةً صالحين حيهم المكون في أطراف المدينة. جاؤوا يسوقون ناقة كسوها برداء أخضر تزينه كتابات بخط كوفي ذهبي اللون. ترجع به الذكرى غضة، وعمره حينها لم يبرح عقده الأول. اقترب محققا في حدبة السنم. اعتقد دائما أن هذا الحيوان من أغرب خلق الله. دابة مباركة. تحرك عنق الناقة في تناقل ولمست بشدقيها رأسه. نهرها صاحبها وأجم عقالها. كان يخطر ضمن مجموعة أطفال تحت الناقة. في اجتياز هذا المضمار بركة على حد اعتقاد والدته. شجعته ولم تدرك أن اللعنة متربصة به.

اليوم يشعر، أو هو متأكد، أن الطواف تحت الناقة حكم عليه بأن يبقى سجين كرة روث الإبل. ذرة رمل لا تتلاشى، ولم تقهر، ولن تبنى. لا يبارح هذه الكتلة المداومة على التدحرج بين أرجل الجعلان. من فرط الدوران



صحوة



ينزع هسيس آذان الفجر وقر مجونه. ينداح الصوت مفعما  
بالتقوى، شجيا، في مسارب مسمعه.

روحه المترنحة في شرنقة إدمانه تتدثر بأجنحة ملائكة.

ترف صحوة الإيمان فراشة. ترفل في خفة خفقان جناحيها.  
وتخلق محمولة بنسيم الصبح.

يرحل الصدى الشجي، ولا تلبث أن تغفو تهويماته نائرة  
بويضات شجونه.

ماي 2011



**خبيبة أوزريس**



نعمة هو النسيان. لكن كثيرا ما تعلق بالذاكرة شوائب الماضي. حتى  
الآلهة في رحمتها التي وسعت كل شيء، تؤرقها شوائب عثراتنا العالقة بنا إلى  
يوم الدين. نتلافى الماضي بالتيه الحلزوني لزماننا، ولا نلبث أن نصاب بالدوار،  
لنقيء ما علق دفعات.

أفرغ ذاكرتي من وقائع حرب. أغسل بالصمت والوحدة ما وقر سمعي  
من أزيز رشقات الرصاص. أجوب امتداد الأطلسي لأطهر نفسي من وعشاء  
الأوامر والتنقلات والتقارير. أملاً عيني من نور الشمس وبهجة موج البحر  
علني أحرر من ذكرى تسحب بين تفاصيلها المعاناة.

يمكنني أن أمارس فعل النسيان كحصى في درس اليوغا.  
يمكنني للممة أشلائي عبر تلاحح الأمكنة، والكرّ المسعور للأزمة..

لكن، ما يصعقني هو بحث حبيبي الدائم عن عضوي الذي ابتلعه طائر  
البيداء المجهول الأوصاف، ووسم بالتيه حياتي.

مارس 2012

# Harmonie



يتكئ على إفريز السور ساهما. يللم عشقه الذابل. يدرأ توتره.  
كانت شمسُه التي طالما أدفأته جدائلها. ومراتع عشقه التي غردت فيها  
أشواقه.

طيلة أعوام سكنته كلماتها، وهي العاشقة للكلمات:

هو الرحيل إليك في الحلم أنسي  
والقرب منك سكنى عدن لنفسي

الآن يمارس بتر أوصال مشاعره. يهرب من ألقها ومن نفسه الهائمة  
بحبها.

يحاول كل منهما التخفف من ثقل البحث عن الإدانة.  
تنظر إليه في دعة. تناثرت كلماتها كحب البرد:  
- "لقد خلصت إلى أن عشقك صار موتا لمشاعري".  
خلا لنفسه ثواني، ثم أجابها دون البحث عن جدال:

- "ليس بقدر ما انتهيت إليه".

يطالهما الصمت. يعانقها بصره زائغة النظرات. هل في مجال الرؤية يلوح الحنين، أم لا مجال لإيقاد جذوة ما خبا؟

يكره منتصف الحلول. ويدرك أن تلك فلسفتها في العشق أيضا. سحب نفسه من عالمها، موقناً أن في العشق هوامش لاحتمالات متطرفة. يرافقه معنى لقولة عالقة بذاكرته، ينسجه على منوال مشاعره: إذا كان هناك في الحب ما يغتفر، فهناك أيضا ما يدان.

29 دجنبر 2012

**حضور مفترض**



يسيح الضباب على بساط اليم، ويزحف نحو الشاطئ مبتلعا الزوارق  
المتهادية. كلما اغتم الجو ضبابا إلا وكبس أنفاس البحر وهديره. يتابع الندى  
الكثيف تدفقه مصالحا اليابسة بالبحر في دعة وسكون. ثم يدثر أشخاصا  
سارحين على الشاطئ بردائه الرمادي.

هذا كل ما أذكره من ذلك الصباح المتواري خلف برودة دجنبر. لا  
تستحضر ذاكرتي أي تاريخ لليوم. وحده الحضور الغريب لشخص يبرق في  
مدى ذاكرتي الضبابي، كأنه حلم مقتضب.

أجلس خلف مكتب الاستقبال في فندق أطلنتيك. أداعب رتابة اليومي  
بمتابعة فيديوهات يوتوب عن حلقات ناسيونال جيوغرافيك. لا أدري لما  
انبثق فضاء رواية "قلب الظلام" من مخزون قراءتي. لعله البخار المتصاعد  
من الممرات المائية في الأدغال، أو مجرد إضافة من وحي الخيال.

يرتبط الترحال لدي بفضاء الفنادق. إنه الإقامة العابرة. لا ملكية لك فيه. باستثناء قلة من الناس، حيث يجيله الأُنس بيتا، أو موطنا، من خلال الإقامة المتواترة في الفنادق.

تعبرني الذكرى هامسة. أحسني أفرغ كليا في ذاتي، بلا وجود خارجي لي.

شككت في أمر الغريب. قد أكون اكتشفت حضوره بالصدفة، أو أن حضوره لم يكن سوى مجرد تخيلات.

وجدتني أجدل خيط أفكاري. أتابع متاهة الفنادق في ازدحام غرفها، ممراتها، عوالمها المسكونة بتاريخ الوجوه المتلاشية. تماثل إقامتنا العابرة. توازي رحلتنا لإقامة أخرى. ليس بمعناها التيولوجي، وإنما لترسم أفقا آخر، الامتداد عبر الفضاء والزمان بدلالات أكثر تجريدا. عوالم موازية لعالمنا. أعداد لا متناهية من الواقع.. السفر إلى أكوان موازية لكوننا على امتداد الأزمنة المتاحة.

صمت. ضباب. هلامية الملامح. تواصل دفين. تخاطر غني باللحظة عينها. لكن ما هم. أصبح للحياة معنى آخر. اخترقني خرس الصدمة، والانكفاء إلى عوالم جوانية. وحده الصمت أنطق بكمي. قد نكتشف يوما أن للصمت أبجديته.

يقف أمامي هذا الكائن في بلاهة متعاليا. يبتز مجال التواصل. مهما اختلفت أشكال الأبديات، فهي تخول لنا التواصل مع الذات والآخر والعالم.. بل حتى مع الله وإبليس.. أحيانا حتى النأمة تأخذ دلالة. حتى الآلهة تنهجا الأبدية. تتوسلها للتواصل مع أكرم خليقتها، تقيم في الكلمة من خلال أبجديتنا، تستعيرها لتستوطن كياننا، وتُشرعن وجودها.. معه كان العدم متجليا بيننا.

مذ حضر هذا الهلامي الشكل حقن وجوده بداخلي. زرع بذرة لفكرة كونه مثيلا لي في بعد آخر من عالمه الكوني الأبعاد. تكهرب دماغي وملاءه طنين كحشرة الزيز.

فرضا لو اعتقدت - كما يذهب العلم اليوم - أن لكل شخص مثيله، أو امتداده في الكون، أو أكوان لا متناهية، امتداد يصوغ الأبدية بخلاف ما اعتقدته الأديان، ألا يكون هذا الهلامي بجانبى انعكاسا مشوها لي، أو مصححا لتشوه انعكاسي له؟ هل يضايقه وجودي؟ وما أدراي أن كل الانعكاسات تعود في مجملها لأصل واحد كغرف المرايا.. لشخص واحد.. لحضور واحد.. لإقامة واحدة.. هل يمكن أن يكون لهذا الأصل بعد لاهوتي ما؟ أن يكون حلولة فينا امتدادا له كما درجت عليه بعض المعتقدات.. لكن بصورة ناقصة عن كماله الذي ابتلعتة التماثلات؟ قد يكون سعينا كي نعكس

حضوره فينا، ونكمل هذا الفيض الوجودي، هو ما اعتبرته البشرية مدارج،  
أو طرقا، أو ديانات إرضاء لهذا الأصل السحيق الغور ضمن الأزل.

نزع الفلتر من عقب سيجارة إمعانا في تأكيد حضوره. أو تأكيدا لقراءة  
أفكاري، وسبر أغوار استيهاماتي الضبابية. نظرت إليه ساهما. خلت أني  
ألحظ جذوة سيجارته. ما أربكني أني لم أدمن التدخين يوما. نفت دخانه في  
وجهي مباشرة إمعانا في مناكدي.

بصم الشخص الهلامي أفكاره في وجودي رغبة لإثبات أني مثيله. هل  
عبر في وجوده مثلٌ له. يعني مثيلا لنا نحن الاثنين. كل الاحتمالات في  
حضوره قائمة.

حين اخترقتني لزوجة صمته تلاشت لغتي في سمته الضبابية. أحالني إلى  
صمت. والصمت في عرف اللغات حكمة. لحظة تأمل. لغة سرية منفلته من  
الأبجدية. الصمت بحث عن اللغة ما قبل البابلية. اللغة الواحدة قبل  
التفكك والتشردم. الصمت لغة الآلهة في وحدتها. الصمت يوحي بأحادية  
التواصل. لعل الإله قبل الخليقة كان صمته مطبقا. بمجرد ما نطق انبثقت  
الأشياء. فصار الكلام منيع خلق. في الصمت الذي تتداوله، أو نستعيره من  
الآلهة، مجسات تلتقط صدى الكون ورنينه.. ولم لا لغته.

هل هذا الهلامي يحمل ذكرياتي، آلامي، فرحي، قلقي.. لحظتي هذه؟ هل أنا من يثبت وجوده أم هو من يعيد وجودي؟ أحسه تراكما من الذرات والأحداث المتواترة تصوغ قدرتي ومصيري. لعل نسخي المضاعفة عنه تضمن لي خلودي وحياتي الأبدية. أم أني أعيش انقسام وجودي اللانهائي، أم هي حالة انفصامي؟  
مع انحسار الضباب، تلاشى الصدى من داخلي، وانبجس ضجيج العالم.  
اليوم، حين أخلو لنفسي أرحل بحثا عن امتدادي المفترض.

مرتيل

دجنبر 2012



**ألق**



يُحاصره كرسي بمقهى. يهرب من ذاته. تتلاحق أمامه تفاصيل يوم مفعم بالحياة. مأخوذاً برفة عصفور، مروق سيارات، خطو المارة..

رشف شايه. افتر ثغره عن ابتسامة كالحة، وساح بصره على بلاط الشارع، حجارة مرصوفة بتناسق.

ينخره سرطان البروستات، وتكبس عليه وخزات الروماتيزم. يدوخ بين الشوارع والأزقة ليحظى بدعم الأدوية. شارع مولاي عبد الله، شارع الحسن الثاني، طريق زعير.. تذوي أيامه في حزن الانتظار. ينسى نفسه وسط طوابير تمور بالمرضى. يتقياً لعناته، وسخطه، وشؤم الحياة بومية الأنفاس.

تزحف عقارب الساعة. يقترب مواعده. نقد الناذل. وبتنفس من عارك السنين يلاحق بقية من حياة.

أكتوبر 2013



## صدى السنين

لأجل إيجابية الروح إلى يونس، لطيف، علي، عزيز



"تذكر سيرتي لتجد ضالتك".

يتردد الصوت بداخلي كلازمة من قصيدة نظمت على إيقاع الحياة  
الرتيب. قال عبارته وتواري. ربما كان الأجدر به القول: "يكفي النظر  
لدواهلك كي تجد ضالتك".

هل كان يعتقد أن وجودي تجسيد لروحه، أو أن حضوري كفيل بدرء  
غيابه؟

عادة ما يداهمني قرع كلماته، وكأن رنينها يصلني للتو. أدركت مع تقدم  
العمر أن صوته يصير أكثر ألفة. ووصيته تقارب حكمة أب عرك الحياة لابن  
في طيش الشباب. لا يهم صدق الوصية أحيانا، بقدر أهمية شغف قلب  
يتحدث، رغم أني لم أمتح من معين معرفته وأسراره سوى النزر اليسير.

تفتح وعينا عليه صاحب دكان للكتب المستعملة، بمحاذاة قنطرة ظهر  
المهراز. وأدركنا مكانته بعد سنتي اعتقال في أحداث فاس الرهيبة. يوم

افتقدنا حضوره، وغابت عنا أخباره، ومن بعدها نضبت أنوثة والدتي من فرط ساعات السفر بين مراكز الاعتقال. صار عند البعض معلمة الحبي. كنت أفخر أنه رغم انعدام شواهد الدراسة يقارع محبي المعرفة من أهل الحبي ومرتادي محله: طلبة، نشطاء سياسيين ونقابيين، مدرسين..

قبل أن يهد الزمن قامته الفارعة ويحيلها حذباء، دأب على نشاطه الجمعي في فرقة موسيقية لطرب الملحون. حين تلج عالمه، تسعد باقتنائك نسخة نادرة من كتاب، ووصلة من طرب الملحون إن تصادف قدومك مع حضور سي الطاهر عازف العود، كما لا يبخل عليك بكأس شاي.

ما حافظ على الألفة أكثر مع ذكراه، أني امتلكت محله، اختارني من بين إخوتي ليعهد إلي به، لما لمسه في من حرص على مداومة طلب المعرفة، وبسبب ظروف التعطيل التي بقيت لصيقة بي إلى يوم فراقه.

اليوم عوض أكداش الكتب، احتوى القسم الأكبر من المحل على أجهزة الكمبيوتر ومستلزماتها. وغاب نغم الوتر لتصدح مكانه الأقراص المدججة بكل ألوان الطرب. افتقدنا الشاي من جلساتنا، احتلت المقاهي جنبات الشارع، وصارت كفيلة بتلبية الطلبات. غالبا ما تجدني وقد خلوت إلى نفسي في أحد كراسيها.

ينشر المساء الخريفي ظلاله، وتتولد بوادر المغيب من أحراج الوادي  
وجنباة كأنها يغفو فيه ضوء النهار.

يطل من ناصية الشارع. يخطو مترعا بالنشاط، في وقته المحدد، الذي لم  
يحد عنه.

كنت أنصت لصدى السنين. ألاحق تهافت الذاكرة. أحس دبيب العمر  
يعيد سيرته بشكل جديد، ويتفتق الحلم طريا من رحم الزمن. صافحني  
والتوله بالحياة يظفر من نظراته. أعاد إلي نسخة نادرة من كتاب "كليلة  
ودمنة". قدمت له كأس شاي اقتنيته من المقهى المحاذي للمحل. شكرني  
باسما. عرج بنا النقاش من دراسته لنشاطاته.. بحث معي بعض تطلعاته..  
انسل الوقت ما بين طلبات الزبائن واسترسال الحديث.. وقام مودعا  
ليلحق بأصدقاء لأجل التحضير لنشاط حقوقي.

ماج الوادي وسط ضباب الغسق. وأفرجت السماء عن زخات مطر.  
غمست صوتي في ندى آماله وقلت له: "يكفي أن تنظر لدواخلك كي تجد  
ضالتك". ثم خطا ملتحفا أحلامه يغوص في زحمة الشارع.

ماي 2012



## الفهرس

9	.....المأوى الأخير
15	.....Ressourcres Humaines
19	.....مسار
23	.....أفكار غير معلنة
27	.....مسخ
31	.....الوهن
39	.....بورترية
43	.....في رحاب الأندلس
47	.....متسع من أمل
55	.....جراء الحي
61	.....شذرات حياة
67	.....غضبة كرونوس
73	.....حرف أخرق
77	.....حروف بابل

81	.....حروف بلون الشفق
85	.....حروف موعودة
89	.....دوران الجعلان
95	.....صحوة
99	.....خيبة أوزريس
103	..... <b>Harmonie</b>
107	.....حضور مفترض
115	.....ألق
119	.....صدى السنين





مجموعة قصصية

# عتبات

محمد صلحي

تمتاز مجموعة محمد صلحي بالتنوع في الشكل والمضمون. تحمل غالباً الطابع المحلي في اللغة وفي المحتوى. ولا يتوانى محمد صلحي عن اقتحام مساحات التجريب. راسماً عوالمه الخاصة التي تسير لك أغوار مناخات قل ما تصادفها. رغم احساسك بأنها أنت. صيغت بلغة رصينة تبعدها قليلاً عن متناول المتلقي العادي.



فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة

عمان - الأردن - تلفاكس ٤٦٥٠٨٨٥ ٦ ٩٦٢ +

**Fadaat For Publishing & Distribution**

Amman - Jordan • dar\_fadaat@yahoo.com



9 789957 305444